

أ. د. لطيف حاتم الزاملِيّ الباحثة هُدَى جَبَّارِ رحمن

جامعة القادسية / كلية التربية

HUDA JABAR1982@GMAIL .COM

تاريخ تقديم الطلب: 2018/1/2

تاريخ كتاب قبول النشر: 2018/3/7

العلمية، التي من بينها الثقافة
الفلسفية العالية التي أثرت تأثيراً
مباشراً في المنهج اللغوي عنده.
أمّا الإطار الثاني فقد تركّزت
محاوره على الكشف عن المنهج
اللغوي لحازم القرطاجني في كتابه
الذي بين أيدينا، مع إبراز أهم
القضايا اللغوية وطريقة تناوله لها
التي تتناسب وميوله واتجاهاته
الفلسفية التي بدت واضحة في
تشكيل منهجه اللغوي المستخلص
من جملة معارف أشار إليها
الدارسون؛ لنجاحه في إدراجها
ضمن مباحثه النقدية والبلاغية
لصيغة القوانين الشعرية.

ملخص البحث
الحمد لله ربّ العالمين والصلاة
والسلام على خاتم الأنبياء
والمرسلين سيدنا محمد (ﷺ) وآله
الطيبين الطاهرين.
أمّا بعدُ:

فإنّ فكرة هذا البحث تدور في
الحديث عن إطارين أساسيين
يتضافران في الكشف عن المنهج
اللغوي لحازم القرطاجني في كتابه
(منهاج البلغاء وسراج الأدباء)،
الإطار الأول تدور فكرته على أهم
الروافد الثقافية والمعرفية التي
أسهمت في تكوين شخصية حازم

Abstract

The present paper is concerned with the linguistic approach of Hazim AL-Qartajany in his book "The Approach of rhetoricians and Guide of Writers " The paper falls in to two parts.

The first one shows the most important cultural and epistemological source, which shaped Hazims scholarly personality. Port twois devoted to exploring his attitude to same basic issues in linguistic thought and his method of dealing with them. IT also shows how he employed this linguistic Knowledge in formulating his erotically and rhetorical laws of poetry.

أولاً: حياته وتكوينه الثقافي وأهم آثاره:

-اسمه وولادته ولقبه:

الْقُرْطَاجَنِيُّ * هو أبو الحسن حازم بن محمد بن خلف بن حازم الأنصاري القرطاجني-على أغلب الروايات -والملقب بهنيء الدين، خاتمة الشعراء الفحول في الأندلس. ولد في تونس سنة ((608هـ)) وانتسب إلى قرطاجنة الأندلس لا قرطاجنة تونس، من سواحل كورة تدمير التي تقع شرق الأندلس. وقد ذكرت المصادر التي ترجمت له العديد من الألقاب الأخرى التي اشتهر بها كالقرطبي، والغرناطي، والأندلسي (1).

- نشأته العلمية والثقافية: *

امتلات حياته بالكثير من الأحداث التي تتراوح بين استقرار، واستقرار. عاش على قدر من العيش الرغيد والحياة المترفة في طفولته وشبابه، فوالده كان يعمل قاضياً لأربعين عاماً في مرسية وكان له حظ من الأدب والفقه، فكان الرافد العلمي والثقافي الأول الذي أسهم في تكوين شخصيته الثقافية (2).

حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة ثم التحق بحلقات الدرس التي كان يعقدها شيوخ عصره، كالعروضي النحوي (3)، والطرسوني ((622هـ)) (4)، وأبي عليّ الشلوبيني ((654هـ)) (5) -أكبر

لله ما قَد هَجَّتْ يا يَوْمَ النَّوَى

النَّجْوَى

لَقَدْ جَمَعَتِ الظُّلْمَ وَالإِظْلَامَ إِذْ

الصُّحَى

-أقوال العلماء فيه:

نحاة الأندلس-فانتهل من علومهم حتى اكتملت عناصر ثقافته اللغوية البصرية، والفقهية المالكية (6).

عصفت بحياة حياة حازم الْقُرْطَاجَنِيُّ رياح الغربة والأحزان، فبعد أن كانت حياته مليئة بالنشاط والعلم بدأ يعتريها ألم الفراق على والده ووطنه، فعند بلوغه سن العشرين توفي والده، ثم توالى الأحداث الأليمة عقيب وفاة والده، فبدأت دويلات وطنه الأندلس بالسقوط واحدة تلو الأخرى على يد النصارى من الأسبان، فاضطر مثل باقي الأندلسيين إلى الهجرة إلى المغرب العربي.

وصل إلى أرض مراکش وهناك كان محط رحاله، فمكث فيها ما يقارب سبع السنوات، ثم انتقل بعد ذلك إلى تونس عاصمة الدولة الحفصية التي لم تسلم من الفوضى والاضطراب، إلا أنه بلغ فيها شأواً من العلم وحسن السيرة والسلوك، وهذا ساعده على التقرب من بلاط الأمراء والخلفاء، فذبواً منزلة الشيوخ، واقترب من الخلفاء، ومدحهم في أشعاره، منهم الخليفة المستنصر بالله الحفصي الذي مدحه في مقصودته الشهيرة (7)، التي شرحها الشريف الغرناطي ((760هـ)) في كتاب أسماه (رفع الحجب المستورة على محاسن المقصورة)، وكان مطلعها (8):

عَلَى فَوَادِي مِنْ تَبَارِيحِ

وَارَيْتَ شَمْسَ الحُسْنِ فِي وَقْتِ

وابن رشد ((595هـ))، وأثر في تلقيه وقراء كتاب سيبويه⁽¹⁶⁾.
-وفاته

بعد أن زحرت حياة حازم القرطاجني بالعلم والدرس والنشاط الثقافي في أوساط اللغة الأدب والبلاغة والشعر وصار واحداً من أهم أعلام الفكر العربي في الشرق والغرب، غادر الحياة في ليلة السبت الرابع والعشرين من رمضان سنة ((684هـ)) في تونس⁽¹⁷⁾.

-أهم مؤلفاته:

أشار الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة إلى أن لحازم من المؤلفات والقصائد ما تصلح أن تكون وثيقة تاريخية و خارطة جغرافية لأماكن أندلسية، كالمقصورة⁽¹⁸⁾ -التي أشرنا إليها-وله أيضاً بضع كتبٍ مفقودة جلية، وهو ما يجعله من متقدمي علماء اللغة والبلاغة والأدب في ذلك الوقت. من أشهر وأهم مؤلفاته⁽¹⁹⁾:

- السفر العظيم الذي بين أيدينا (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)

*

- (كتاب القوافي)⁽²⁰⁾ الذي شرحه تلميذه ابن رشيد الفهري تحت عنوان (وصل القوام بالخوافي في شرح كتاب القوافي)⁽²¹⁾.

- (التعقيب على كتاب وشي الحل للفهري)⁽²²⁾.

- وكان له كتاب يردُّ فيه على ابن عصفور في كتابه المقرب، وهو

اشتهر حازم القرطاجني بعلوم متنوعة، ولقب بشيخ البلاغة والأدب والشاعر الناثر، والفييه واللغوي والنحوي⁽⁹⁾، الذي تتلمذ على يديه كبار العلماء، منهم: أبو حيان الأندلسي ((745هـ))، وابن سعيد الكاتب ((673هـ))⁽¹⁰⁾، والفييه اللغوي النحوي والمؤرخ ابن يوسف اللبلي الفهري ((691هـ)) صاحب كتاب وشي الحل الذي تعقبه حازم بتوجيه من المستنصر الحفصي، وغيرهم⁽¹¹⁾.

وفي سعة علمه قال فيه تلميذه أبو حيان: كان حازم قد أخذ العلم عن جماعة يقاربون ألف عالم، فهو ((أوحدُ زمانه في النظم والنثر والنحو واللغة والعروض و علم البيان))⁽¹²⁾.

كان هذا الأمر مدعاة لأن يصفه تلامذته بأوصاف جلية تصح أن تكون نعتاً علمية له، فقال العبدري: ((حازم، وما أدراك ما حازم))⁽¹³⁾، وقال فيه ابن رشيد: ((حبر البلغاء، وبحر البلغاء، ذو اختيارات فادقة واختراعات رادقة، لا نعلم أحداً ممن لقيناه جمع من علم اللسان ما جمع ولا أحكم من معاهد علم البيان ما أحكم، من منقول ومبتدع.... يضرب بسهم في العقليات، والذراية أغلب عليه من الرواية))⁽¹⁴⁾. وقال فيه التجاني: ((كان أبو الحسن حامل راية الأندلسيين))⁽¹⁵⁾، وكان لأبي عليّ الشلوبين -أستاذ حازم- أثرٌ في تلقي حازم العلوم العقلية والمنطقية وتأثره بفلاسفة الإسلام كالفارابي ((339هـ))، وابن سينا ((428هـ))،

مئتي وسبعة عشر بيتاً، لخص فيها حازم القرطاجني قواعد النحو، مذكورة في ديوانه، وشرحها حديثاً الدكتور محمد السيد عزوز، وسنقتطف منها أبياتاً يوضح فيها أقسام الكلام وهي (26):

اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ ثالثٌ لهما
على حقيقةٍ معنىً وقتُهُ أنبهُما
على حقيقةٍ معنىً وقته انفهما
معنىً، ولكنَّه في غيره

عصارة جهده الذي وصل إلينا، والذي سيكون على النحو الآتي:

أ- الإطار المنهجي:
يتميز كتاب حازم القرطاجني بانفراده التصنيفي من بين كتب البلاغة والنقد، فهو يتركب من ثلاثة أقسام يطلق عليها حازم اسم المناهج وهي (المعاني، المباني، الأسلوب)، وتنتفع هذه إلى مباحث يسميها حازم (معلم، ومعرف، ومأم)، ويتبع كل فرع منها بـ (بإضاءات وتنويرات)، وهو تقسيم يتلاءم مع العنوان العام للكتاب، وهذا التقسيم يبدو متلائماً مع العنوان العام للكتاب، فالمناهج بمعالمها ومعارفها ومأمها كانت للبلغاء يورد فيها الآراء البلاغية، والإضاءات والتنويرات تبدو سراجاً للأدباء، وهذا التقسيم الفريد يدل على المنهج المنطقي الذي تميز به حازم في النظر إلى الشعر العربي وإحاطته بثقافات استطاع أن ينثرها في المنهاج (28)، منها ثقافته اللغوية.

(شد الزيار على جحفة الحمار)
(23)

- كتاب التجنيس الذي شرحه تلميذه ابن رشيد الفهري السبتي (24)
 - وله أيضاً منظومة نحوية ذكر منها ابن هشام أبياتاً في المسألة الزنبورية (25) وقد تألفت من
- وكل قول إذا قسمته انقسما
فالاسم لفظ يدل السامعين له
والفعل لفظ يدل السامعين له
والحرف لفظ يدل السامعين على
فهما.

كانت هذه نبذة مختصرة عن حياته وعن أهم الروافد التي أسهمت في تشكيل شخصيته الثقافية والعلمية والتي تنوعت ما بين الفلسفة والمنطق والبلاغة والنقد واللغة والتي أتت أكلها في المنهاج بغية تفعيد القوانين الشعرية.

ثانياً: منهجه اللغوي في المنهاج وفقاً للمُعطي المتقدم يقتضي توجيه النظر إلى أهم القضايا اللغوية التي نثرها حازم في المنهاج والتي أسهمت في الكشف عن آرائه وثقافته اللغوية؛ إذ لم يقع بين أيدينا ما نستطيع أن نثبت فيه منهجه اللغوي؛ لتعذر الحصول على بعض مؤلفاته اللغوية، كـ (شد الزيار على جحفة الحمار) الذي أشرنا إليه قبل قليل، الذي ممكن أن يكون كاشفاً عن جهده اللغوي ومذهبه النحوي بشكل واضح (27)؛ لهذا كان من المُلزم أن نثبت منهجه اللغوي والخطوط التي سار عليها في تفعيد القوانين الشعرية المطلقة في كتابه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) الذي يمثل

وتحليل نصوصه عن اتفاهه مع أعلام المذهب البصري أمثال سيبيويه ((180هـ))، وابن جني ((392هـ)).

والأمر الملاحظ أنه قد أفاد بشكل مباشر من جهود ابن سنان الخفاجي ((466هـ)) اللغوية في سر الفصاحة وخاصة في مبحث العبارة والتأنق في اختيار موادها (33)، فضلاً عما تخللته المباحث الأخرى التي نثر فيها تصوره عن معايير الفصاحة اللغوية التي بدأ الحديث عنها في القرن الرابع الهجري والتي بدأت تنص على انتحاء سمت العرب في كلامهم، وأكد فيها اللغويون على جانب فصاحة المتكلم، فأصبح هذا الجانب معياراً من معايير الفصاحة اللغوية العربية (34). مع ملاحظة أن موضوعاته الخاصة بالتركييب ومعانيها وطريقة تأليفها تلنقي مع أفكار عبد القاهر الجرجاني ((474هـ)) في أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز.

وقد تضمن منهاج حازم معايير الفصاحة اللغوية بأشكالها الثلاثة (ألفاظ، تراكييب، متكلم) بشكل متناثر فوهبها اهتماماً وأكد على جوانبها الثلاثة (ألفاظ، وتراكييب، ومتكلم)، فجاءت قوانينه الشعرية مستندة إلى هذه الضوابط والتأكيد عليها بوصفها أهم أركان القول الشعري، التي بها يُعرف جيد الكلام من رديئه.

وقد اختص حازم القرطاجني بمصطلحات استحدثها لنفسه، فلم نعهدها عند من سبقه، منها وصف أوزان الشعر، بـ (السيطات والجدعات) (35)، وهي أوصاف تبدو

إن التفكير اللغوي لدى حازم القرطاجني اتخذ مسارات واتجاهات عدة، منها ما يتعلق بـ (فصاحة الألفاظ، والتركييب، والمتكلم)، ومنها ما يتعلق بـ (المعاني وتراكييبها وأسانيدها)، ومنها ما يتعلق بـ (إيراد الألفاظ والتراكييب في مواضعها التي تليق بها ومناسبة المقال المقام)، ولتلك الرؤى في فكر حازم القرطاجني أصدااء مسموعة في الفكر اللغوي والبلاغي النقدي القديم.

ولتنوع مصادر ثقافة حازم اللغوية بين مصادر فلسفية ومصادر لغوية؛ فقد أدى هذا الأمر إلى تداخل المباحث فيما بينها في المنهاج، حتى صارت ذات صبغة فلسفية يغلب عليها طابع الغموض. وتكفيينا ههنا إشارة الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة، محقق الكتاب في قوله: ((نلمس في هذا الكتاب جوانب من التعقيد تقوم في وجه مطالعته. فلغة حازم مستصعبة لا يمكن لمن يجهل الاصطلاحات المنطقية النفوذ إلى ما وراءها. كما لا يتسنى لمن لم يألّف الاستعمالات الحكميّة أن يدرك غرضه منها بسهولة)) (29).

ففي هذا النص ما يغني عن القول في صعوبة المنهاج وغموض عباراته. فعند تتبع نصوص حازم اللغوية بالبحث والاستقصاء نجد أنه قد أفاد من جهود اللغويين السابقين، وعلى رأسهم الخليل ((175هـ)) - الذي استعان بأحد أقواله (30)، كما استعان بتمثيل لأقوال الأصمعي ((219هـ))، واقندى بالفراء ((207هـ)) (32)، وكشف شرح

اللغة هو القول في السلب والإيجاب التي تلتقي مع مقولات اللغويين بالنفي والإثبات، وكذلك القول في تقسيم المعاني المركبة والمتضاعفة بحسب التعدد والاتحاد، حيث أدخلها ضمن مفاهيم نحوية وقسم الأفعال بحسب التعدد والاتحاد على أقسام تلتقي في تفصيلها مع مقولات النحويين، كـ (التنازع، وأفعال المشاركة، وصيغ التعدي للأفعال)، وكذا الحال بالنسبة للقول في المعاني الذهنية والإسناد؛ إذ كان حازم ينشغل بتكوين الجمل في الذهن وعلاقتها بما هو خارج الذهن، ووظيفة الذهن في إحداث الإدراك العقلي الذي يربط بين الألفاظ ومعانيها ضمن علاقاتها التركيبية داخل النسق الخطابي الواحد.

جـ عنايةه بالنظم:

لحافظ دور الذهن في ترتيب المعاني التي تتحقق عن طريق الإدراك العقلي والربط بين التراكيب، فقد أخذت نظرية النظم الجرجانية تشغل حيزاً في المنهاج وقد سجلت حضوراً ملفتاً للنظر، فقد تنبّه إلى ذلك الباحثون واختلفوا في القول بتأثره بالجرجاني واطلاعه على نظرية النظم أو أنه لم يطلع، وهو أمر يدعونا إلى الخوض في هذه المضامين، فذهب محقق كتاب المنهاج إلى أن حازماً لم يطلع على كتب الجرجاني، قال: ((وليس من السهل هنا أن ندعي أن حازماً قرأ أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز للجرجاني)) (38).

وأشار غيرُ باحث إلى أنه قد اطلع لكنه تعمّد إخفاء اطلاعه، لأن

أنها تابعة لتفكيره المنطقي في وضع قوالب الشعر ضمن حدود الفصاحة اللغوية.

يضاف إلى هذه المصطلحات التي استوحاها من التفكير المنطقي ووظفها في منهاجه هو قوله بالانبساط والانقباض، والتعجيب والإغراب، المصطلحات التي وجدنا صداها يتردد في مباحث ابن سينا الذي نال حظاً كبيراً في المنهاج (36).

أمّا النظر إلى المعنى عند حازم فهو ثمرة علم المنطق؛ إذ جاء عنده يتفق مع ما جاء في مصنّفات الفلاسفة المسلمين، مثل (الفارابي، وابن سينا، والغزالي، وابن رشد) التي انتقلت إليه عن طريق استاذة ابي علي الشلوبين.

ولسبب مما تقدّم ذكره، صار تسليط النظر في دراسة كتاب حازم القرطاجني لا يتم إلا بالرجوع إلى كتب الفلسفة والمنطق، والبلاغة والنقد، واللغة والنحو، فهو كتلة من علوم مُتفرّقة، جمعها حازم في خدمة تقييد قوامين الشعر المطلقة والوصول إلى علم البلاغة بوصفه العلم الكلي (37).

ب- أسلوبه ومرجعياته الثقافية:

إنّ اطلاع حازم القرطاجني الواسع على العلوم العقلية قد أثر في توجيه نصوصه تأثيراً واضحاً، وكثيراً ما نرى مقولاته اللغوية قد امتزجت بمقولات الفلسفة التي استقاها من اطلاعه على مصنّفات أرسطو في (الخطابة والشعر).

ومن المقولات الفلسفية التي سحب مفاهيمها إلى مقولات

وإذا علمنا تعمق حازم في الفكر الفلسفي وإطلاعه الواسع الذي التمسناه في المنهاج على مباحث ابن سينا، فهذا يعني أنه نظر إلى اللغة من وجهة نظر المنطقي الذي ((يتكلم عن الألفاظ من حيث تدل على المعاني)) (43). وإن نظم الألفاظ مواز لترتيب المعاني و((الأسلوب في المعاني بإزاء النظم في الألفاظ)) (44).

من هنا يمكن أن نقول: إنَّ النُّظْمَ عنده هو ثمرة علم المنطق، وإنَّ النظم عنده يجيء على مستوى الكلام في نسق متوال يحقق الجزالة في الكلام ((التي تكون بشدّة التطالب بين كلمة وما يجاورها ويتقارب أنماط الكلم في الاستعمال)) (45). فهو بذلك يتجاوز النظم الجرجانية إلى النظم الفلسفية التي قدمت عنايتها بالمعاني قبل الألفاظ بوصفها مفهوماً لا يتضح إلا بالألفاظ.

د- عنايته بالاستعمال:

نجد تناول حازم لمعاني الكلام وتراكيبها وفصاحتها بحسب ضوابط الاستعمال العربي ومعايير التقويم اللغوي في التراث العربي جعله، يقترب من الدراسات الحديثة، وخاصة أنه يتحدث عن اللغة الشعرية بحسب الاستعمال والتداول في المجتمع ضمن سياق محدد يحدد نوع الخطاب وأسلوبه وألفاظه ومعانيه.

فالمندّتب لنصوص حازم القرطاجني يجده لا يبتعد كثيراً عما جاء به الدرس اللغوي الحديث الذي عني باللغة واستعمالها ضمن سياق

الجرجاني من المتكلمين ((والمتكلمون كانت أفكارهم مُصادرة في المغرب العربي عموماً)) (39). وهذا الأمر مردود، لأن حازماً قد تمثّل في مواضع بأقوال الجاحظ ((255هـ))، مصرحاً بذكر اسمه، وهو من المتكلمين (40)، في حين يرى الدكتور محمد عبد المطلب أن حازماً قد قرأ النظم الجرجانية وألم بأسلوب أرسطو واستوعبه فجمع بينه وبين النظم الجرجاني بجعله النظم شاملاً للعملية الابداعية، وهو جهد يحسب له في تجاوز مفهوم النظم من الجملة الواحدة إلى مفهوم النص باعتباره وحد متكاملة (41). فحازم القرطاجني بحسب هذا التصور أصيلاً في تطبيق نظرية النظم الجرجانية على النص الكامل. وبحسب رأي الباحثة من

المرجّح أنّ حازماً القرطاجني لم يطّلع على الجرجاني، فمفهوم نظرية النظم والعناية بترتيب الألفاظ بحسب ترتيب المعاني في النفس والذهن، قد أشار إليه الفلاسفة في مباحثهم، وخاصة مبحث اللغة والفكر الذي ورد عند ابن سينا ((428هـ))، حيث قال: ((ومن المتعذر على الرواية أن ترتب المعاني من غير أن تتخيل معها ألفاظها، بل تكاد تكون الرواية مناجاة من الإنسان لذهنه بألفاظ متخيلة، لزم أن تكون للألفاظ أحوال مختلفة تختلف لأجلها أحوال ما يطابقها في النفس من المعاني، حتى يصير لها أحكام لولا الألفاظ لم تكن)) (42).

المنظور تعد العبارات اللغوية، مفردات كانت أم جملاً، وسائل تستخدم لتأدية أغراض تواصلية (معينة) (47)

انطلاقاً من هذا المنظور ممكن أن نقول أنّ حازماً استطاع أن ينقل تصوره عن وظائف اللغة داخل مضامين تعديد قوانين القول الشعري المطلقة، حيث أكد على تحقيق الفائدة للمخاطب وإحداث التواصل، فهي تمثل ظاهرة اجتماعية تساعد على تحقيق المنفعة البشرية عن طريق تبادل أطراف الحديث والاستجابة للقول أو الرفض؛ إذ كان تصوره واضحاً عن الفعل الكلامي وأثره في إنجاز المخاطب لمقتضى القول في تحقيق الإفادة للمخاطب أو الاستفادة للمتكلم.

فاللغة بمنظور القرطاجني أداة اجتماعية للتعبير عن المعاني والتفاهم بين الناس بما يحقق غاياتهم وحاجاتهم (48)، واستطاع من هذا المفهوم أن يستخلص عناصر العملية التواصلية ووظيفة كل عنصر منها في أداء مهمته اللغوية؛ إذ كان من بين نصوصه القول في جهات الاتصال التي قال بها ياكوبسن (49)، حيث تتركز الوظيفة الشعرية في التخيل والمحاكاة الذين يمثلان أهم مرتكزات القول الشعري وهو ما يعني أنّ النص الشعري عنده يمثل وحدة متكاملة في تحقيق التواصل، وهو الأمر الذي يحقق له السبق في تحديد الجهات التي تُسهم في تحقيق عملية التواصل، هي (القول نفسه، والقائل، والمقول له، والمقول فيه) (50). ووظيفة الشعر

التواصل (46)، فربط بين المعاني الشعرية وأغراضها ومقاصدها بما يناسب مقام المخاطبين وأحوالهم وظروفهم. وكان غالباً ما يردد عبارة لكل مقام مقال، وهو الأمر الذي يدلّ على عنايته بالاستعمال اللغوي، وتوجيه الخطاب للمتلقي بما يراعي مقامه ورتبته بالاستعمال العلمية والسياسية، فهو ينظر إلى الظاهرة اللغوية بحسب وقوعها في الخارج وبحسب استعمالها وتداولها في المجتمع رافضاً استعمال الألفاظ الخاصة في الشعر؛ فكان غالباً ما يوجه نصوصه بالتأكيد على جانب استعمال اللغة التي يفهمها العامة أو ما اصطلح عليه بالمعاني الجمهورية التي يستعملها الجمهور من الناس لا الخاصة من العلماء والأدباء وأهل المهن، والتي أطلق عليها أيضاً معانٍ ثوانٍ لا تصلح للتداول لانبهامها عند البعض.

ومما يؤخذ على منهاج حازم أيضاً في هذا الموضع هو أنه وقع بما نبّه على ألا يوقع فيه، فتحدث على ضرورة استعمال الألفاظ التي يفهمها الجمهور، وهو بدوره استعمل لغة المنطقة في تعديد القواعد والأحكام والغوص في مباحث اللغة التي غالباً ما نراها مقتضية دون تمثيل فأضفى عليها طابع الغموض.

ولأنّ حازم القرطاجني أدرك أهمية الاستعمال في التواصل، فهذا يعني أنه أدرك الوظيفة التي تنبئ باللغة، فاللغة بمفهومها العام ((أداة تُسخر لتحقيق التواصل داخل المجتمعات البشرية، من هذا

قال: ((فهذه إشارة إلى ما يجب أن يتفقد الناظم ويلتفت إليه، على قدر قوته، من الجهات التي تحسن منها العبارات أو تقبح، قد أجملت الكلام فيها، وجعلتها كالأحالة على ما قدمته، مما يتعلق بالألفاظ وتأليفها في العبارات* عن المعاني. فمن قابل هذا الإجمال بذلك التفصيل ظفر بالبغية والمراد إن شاء الله)) (53).

فعبارة حازم القرطاجني في هذا النص يُلمَسُ منها أنه قد أفاض الحديث في فصاحة الألفاظ وانتظامها في القسم الأول المفقود (54) الذي لو حظينا به لكان من الممكن أن تقع أيدينا على شواهد التمثيلية؛ إذ كانت الطريقة التي تبعتها في بيان فصاحة الألفاظ والتراكيب متداخلة ومختصرة، وقد نثرها في المنهاج ضمن سطور مناهجه في المعاني والمباني والأساليب.

والجدير بالذكر، هو أنّ هذا الافتقار في التمثيل قد تدبّه إليه ابن القوبع، فقال: ((ولما وقفت على قوانينه ووعيتها وان كان ترك التمثيل لها، صار كل ما أقرؤه وانظر فيه من كلام بليغ أو بديع يصير كله لي أمثلة لتلك القوانين)) (55).

وميل حازم إلى الإجمال دون التفصيل قد ألمح إليه في أكثر من موضع؛ إذ دلّ في بعض المواضع إلى العجالة في التأليف، منها ما قاله عن قوانين الشعر المطلقة التي فتح أبواب الاجتهاد فيها أبو علي بن سينا وأتم القول فيها حازم القرطاجني (56) وترك منها

تتركز في القول نفسه الذي عماده التخيل، وهي ما اصطلحنا عليه اسم الوظيفة التخيلية التي تعمل على تحفيز المخاطب نحو فعل الشيء أو تركه أو إثارة انفعال المتلقي نحو التعجب والإغراب بحسب ما يتطلبه سياق القول في تحقيق هذه الوظائف نحو الانبساط والانتقاض.

هـ- الإجمال وعدم التفصيل والتلميح لا التصريح:

إنّ السمة الغالبة على نصوص حازم القرطاجني هي سمة الغموض، وهو امر يلحظه أي قارئ للكتاب. ففي النصوص التي نثرها في المنهاج فيما يخص مباحث اللغة المتنوعة، ومنها ما يخص الفصاحة اللغوية، نجده ينظر إلى فصاحة الألفاظ في نسق متوال، ويصور ذلك حديثه عن التلاوم الذي شمل الألفاظ المفردة والمركبة والتي قد جاءت بشكل متداخل (51)، فضلاً عن افتقارها للتمثيل الذي ولد غموضاً لدى القارئ والتي لا يستجليها إلا بالرجوع إلى سر الفصاحة بوصفه المرجع الذي اعتمده حازم في المباحث المتضمنة ضوابط الفصاحة وفي النظر إلى المعاني الذهنية، وهو الأمر الذي دعا أحد الباحثين إلى القول إنّ: ((الخفاجي في هذا الاتجاه هو أستاذ حازم بلا مرأء)) (52).

وينبّه حازم القرطاجني في مواضع من المنهاج إلى هذا الافتقار الذي يخص مباحث الفصاحة؛ فأشار بعد فراغه من معلم العناية بهيئات العبارات والتأنق في اختيار موادها إلى سبب الافتقار إلى التمثيل، حيث

والتياس معنى بمعنى واستغلاق العبارات وانبهامها، وهو ما دعاه إلى التنبيه على هذا الاختصار؛ لتعجيل إتمام الكلام في منهاج البلغاء.

من ذلك ما أشار إليه في طرق معالجاته لغموض المعاني واشتكالها، وإيجاد الحيل في إزالتها فقد نبّه إلى حاجتها إلى التفصيل، حيث قال: ((ولهذه الجملة تفصيل طويل لا يمكن أن نتقصاه بالتمثيل في وجه وجه من تلك الأشياء التي من قبلها تشتكل المعاني في أنفسها ومن جهة عباراتها/ إذ بعض الشواغل ومراعاة ما اعتمده في هذا الكتاب من الاكتفاء في كل باب منه بالإجمال عن التفصيل وباللمحة الدالة عن الجملة الشارحة يمنعان من الزيادة على القسط الواجب فيه بحسب ما اعتمده)) (60).

فحازم ههنا يدرك أنّ التفصيل في اشتكال المعاني وغموضها يبعد الكتاب عن هدفه في الوصول إلى العلم الكلي، وهو علم البلاغة، لأنها تشتمل على مباحث الخوض في غمار اللغة وتراكيب عباراتها؛ لهذا عمد إلى الإجمال دون التفصيل وإلى التلميح دون التصريح وهو ما لا يمكن أن نعدّه عيباً منهجياً؛ لأنه اختار لنفسه أن يضع منهاج كتابه للبلغاء، وإضاءاته وتنويراته سرّاً للأدباء، ليصبح كتلة متجانسة من نسيج واحد يحول دون الخوض في مباحث أخرى؛ لذلك جاءت إشاراته في بعض المواضع مقتضبة ومختصرة تشتمل على قواعد وأحكام ممكن أن يتصورها القارئ

أشياء؛ ((لكون بعض أغراض النفس تحت على الانحياز في التأليف وتعجيل الإتمام له، ولأنّ استقصاء القول في هذه الصناعة محوج إلى إطالة تتخون أزمنة الناظر وتعوّقه عمّا يجب أن يترقى إليه من هذه الصناعة من العلوم النافعة)) (57).

ويعزو الدكتور جابر عصفور هذه العجالة عند حازم لإدراكه التيارات المعادية لمن يسلك طريق الفلاسفة (58)، ويعزوه باحث آخر إلى قساوة الظرف الذي أحاط بحازم أيام سقوط الأندلس (59).

والذي يمكن أن نفهمه من نص حازم القرطاجني أنه عمّد إلى هذه العجالة، ليس لإدراكه التيارات المعادية فحسب - لأنّ حازماً القرطاجني قد سلك طريق الفلاسفة في التأليف والتصنيف والأسلوب واستعمال المصطلحات الفلسفية - بل ممكن أن يكون هناك سبباً آخر هو أنّه أدرك أنّ الخوض في غمار الفلسفة والمنطق اليونانيين يصطدم مع العقائد الإسلامية، وهو أمر ممكن أن نستشعره من قوله السابق ((ولأنّ استقصاء القول في هذه الصناعة محوج إلى إطالة تتخون أزمنة الناظر وتعوّقه عمّا يجب أن يترقى إليه من هذه الصناعة من العلوم النافعة)).

إنّ ميل حازم إلى هذه العجالة في مؤلفه، دفعته إلى التنظير دون التمثيل، وخاصّة وإنّ بعض مقتضيات صناعة الشعر تحتاج إلى التفصيل كالضرائر الشعرية

- بالتحليل والشرح والوعي الخاص لتتمثل له تلك القواعد والأحكام⁽⁶¹⁾.
نتائج البحث:
- تأثر حازم القرطاجني بعلم المنطق؛ إذ نظر إلى ترتيب الألفاظ بلحاظ ترتيب المعاني المتخيلة في الذهن. وهو ما جعله يلتقي في بعض نصوصه مع ما جاء عند الجرجاني في نظرية النظم، فنظر إلى المعنى بلحاظ السياق التأليفي الذي ترد فيه اللفظة، وموقعها الموقع الذي يليق بها في الكلام. إلا إن النظم كان شاملاً للنص الشعري، فتخطى مستوى الجملة إلى مستوى النص بوصفه وحدة متكاملة.
 - سحب المقولات الفلسفية والمنطقية إلى المقولات اللغوية والنحوية؛ نتيجة لتنوع الثقافات والمعارف عند حازم القرطاجني.
 - الميل إلى الإجمال دون التفصيل لإدراكه تعارض العقيدة الإسلامية مع المنطق الأرسطي، وإدراكه أن الميل إلى التفصيل يُخرج الكتاب عن هدفه في الوصول إلى العلم الكلي وهو علم البلاغة.
 - لا يستطيع الباحث أن يستجلي مقاصد حازم دون الرجوع إلى كتب الفلسفة والمنطق واللغة والأدب والنقد والبلاغة، فهو خليط متجانس من هذه العلوم التي أسهمت في تشكيل قوانين الشعر عنده.
 - عناية حازم باستعمال اللغة ضمن سياقها المحدد، وضمن معرفة الناس إليها، ومراعاة مقام مخاطبين ورتبتهم الاجتماعية.
 - يكتسب حازم معرفة لغوية من كتاب سيبويه تلقاها عن طريق استاذة أبي علي الشلوبين، إلى جانب تلقية العلوم الحكيمة والعقلية من دراسته فن الشعر والخطابة لأرسطو، واطلاعه على مصنفات ابن سينا، والفارابي، وابن رشد الذي كانت أنفاسه حاضرة دون الإشارة إليه. وهذه العلوم كلها أسهمت في تشكيل المنهج المعقد في منهاج حازم.
 - إفادة حازم بشكل مباشر من مباحث ابن سنان الخفاجي في كتابه سر الفصاحة، إذ استطاع أن يدرك كل جوانب العملية الخطابية، (ألفاظ، كلام، متكلم)، وتلقي فصاحة المتكلم عنده ما أقره نحاة القرن الرابع الهجري حين صارت ضابطاً وقانوناً يحكم المتكلم ويقيده بضرورة انتحاء سمت العرب، فصارت بذلك معياراً من معايير الفصاحة اللغوية.
 - تنوع القضايا اللغوية عنده يتنوع موضوعات الكتاب، فهو لم يفرد لها مبحثاً خاصاً وإنما عرضها ضمن المباحث النقدية والبلاغية التي عالج فيها قوانين الصناعة الشعرية في الشعر العربي.

هو امش البحث:

* قَرطاجنة بالفتح ثم السكون وطاء مهملة وجيم، ونون مشددة، ينظر: معجم البلدان، 4 / 323.
 ينظر: الوافي بالوفيات، 11/208، بغية الوعاة: 1 / 491، شذرات الذهب 7 / 676، أزهار الرياض من أخبار عياض: 3/173، نفع الطيب: 5 / 189، شجرة النور الزكية: 1/197، هدية العارفين: 1/260.

* تناول حياته عدد كبير من الدارسين منهم محقق الكتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) محمد الحبيب ابن الخوجة بتفصيل كافٍ ووافٍ يُغنينا عن تكرار الكلام، فسكنفتي بنبذة موجزة عن حياته، فمن أراد مزيداً عن حياته والظروف السياسية والاجتماعية التي مرَّ بها، ينظر: مقدمة محقق المنهاج، 45-71.

(1) ينظر: التكملة لكتاب الصلة، 2/134، ومقدمة محقق المنهاج، 52-53.
 (2) أحمد بن هلال امن أهل الجزائر، ينظر ترجمته في: التكملة لكتاب الصلة، 1/113، ومقدمة محقق المنهاج: 50، 53.

(3) أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل، ينظر: بغية الوعاة، 1 / 363.
 (4) ينظر: شجرة النور الزكية، 1/197، الأعلام: خير الدين الزركلي، 2 / 159، مقدمة محقق المنهاج: 52-53.

(5) ينظر: مقدمة محقق المنهاج، 52-53.
 (6) ينظر: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 2 / 584، 5 / 189.
 (7) رفع الحجب المستورة على محاسن المقصورة: 22.

(8) ينظر: الوافي بالوفيات، 11/208، بغية الوعاة: 1 / 491، شذرات الذهب 7 / 676، ونفع الطيب: 2/584، وشجرة النور الزكية: 1/179، هدية العارفين: 1 / 260.
 (9) ينظر: مقدمة محقق المنهاج، 69.

(10) ينظر: نفع الطيب، 2 / 208، ومقدمة محقق المنهاج: 64، 69.
 (11) بغية الوعاة، 1/491.
 (12) نفع الطيب: 2 / 589.

(13) بغية الوعاة: 1/491.
 (14) مقدمة محقق المنهاج: 71.
 (15) ينظر: الأعلام الزركلي، 1/159، مقدمة محقق المنهاج: 53-54.

- (16) ينظر مثلاً: ازهار الرياض من أخبار عياض: 3 / 173، الأعلام بمن حل عن مراكش: 107، مقدمة محقق المنهاج: 71، مع ملاحظة ما ذكره السيوطي في بغية الوعاة: 1 / 492، أن يوم وفاته كان في الرابع عشر من رمضان.
- (17) ينظر: مقدمة محقق المنهاج، 83-86.
- (18) لمن أراد معرفة المزيد عن مصنفات حازم الأدبية والعلمية، ينظر: مقدمة محقق المنهاج: 73-91.
- (19) *حققه محمد الحبيب ابن الخوجة في رسالة نال فيها درجة الدكتوراه مع تقدير مشرف جداً من جامعة باريس، طبع أربع طبعات، الأولى في تونس: 1966، والثانية في بيروت 1981، والثالثة في بيروت، 1986، والرابعة في بيروت، 2007.
- (20) بغية الوعاة: 1 / 491.
- (21) ينظر: ازهار الرياض من أخبار عياض، 2 / 350.
- (22) ينظر: نفع الطيب، 4 / 148.
- (23) ينظر: نفع الطيب، 2 / 208، وهو شيء يجعل في الدابة إذا استصعبت لتنقاد وتذل، وهو أيضاً شناق يشد به البيطار جحفة الدابة أي يلوي جحفلته. ينظر: لسان العرب، 4 / 339، مادة (زئر).
- (24) ينظر: بغية الوعاة، 1 / 200.
- (25) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب: 2 / 58-60، وقد ذكر السيوطي ((911هـ)) أبياتاً منها في، بغية الوعاة 1 / 492.
- (26) ديوان حازم القرطاجني: 125.
- (27) ينظر: مقدمة محقق المنهاج: 87.
- (28) ينظر: م، ن: 113-114.
- (29) مقدمة محقق المنهاج: 114.
- (30) ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، 143-144.
- (31) م، ن: 186.
- (32) م، ن: 183-184.
- (33) ينظر: المنهاج، 222.
- (34) ينظر: الخصائص، 1 / 34.

- (35) ينظر: المنهاج، 260.
- (36) ينظر: فن الشعر، ابن سينا، 161-162، والمنهاج: 71.
- (37) ينظر: المنهاج، 226.
- (38) ينظر: مقدمة محقق المنهاج: 115.
- (39) حازم القرطاجني حياته ومنهجه البلاغي، الهامش: 125.
- (40) ينظر: المنهاج، 74، 138، 192.
- (41) ينظر: البلاغة والاسلوبية: 27-28.
- (42) الشفاء: المنطق، ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، 1 / 61.
- (43) م، ن: ص، ن.
- (44) المنهاج: 364.
- (45) م، ن: 225.
- (46) ينظر: استراتيجيات الخطاب، 6-7.
- (47) المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي (الأصول والامتداد): 20.
- (48) ينظر: المنهاج، 344.
- (49) ينظر: المنهاج، 346، فصل السياق والوظيفة والتواصل من الرسالة، 172، وما بعدها.
- (50) المنهاج: 346.
- (51) ينظر: م، ن: 222-223.
- (52) حازم حياته ومنهجه البلاغي: 115-116.
- (53) *الراء من عندنا في العبارات.
- (54) ينظر: المنهاج، 225.
- (55) ينظر: مقدمة محقق المنهاج، 94، وإحالات حازم نفسه إلى موضوعات القسم الأول الخاص بالألفاظ التي أشار إليها المحقق، ينظر مثلا: المنهاج، 17، 19.
- (56) مقدمة محقق المنهاج، الهامش: 116.
- (57) ينظر: فن الشعر: أرسطو، ابن سينا: 198، والمنهاج، 69.
- (58) المنهاج، 70.
- (59) ينظر: مفهوم الشعر، 169.

(60) ينظر: تقريب منهاج البلغاء وسراج الأدباء، 43.


(61) المنهاج: 176، ومثله قوله في إجمال القول في جهات اقتباس المعاني وطرق استجلابها، حيث قال: ((فهذه لمحة إجمالية ترشد إلى جهات اقتباس المعاني، وإلى الأنحاء التي تستحسن في تأليفها واقترائها والنقطة من بعضها إلى بعض. ومنع من تفصيل ذلك الاضطرار معه إلى الإطالة الكثيرة. فليتول الناظر تفصيل ذلك بنفسه، فإنه مفيد في هذه الصناعة وبالله الاستعانة على كل محاول، وبه التوفيق))، المنهاج: 32.

(62) ينظر: مقدمة محقق المنهاج، 116.

المصادر والمراجع:

- 📖 ابن العماد شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحيّ أحمد بن محمد العكريّ الحنبليّ الدمشقيّ ((ت1089هـ))، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، ط1: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-بيروت، 1412هـ-1991م.
- 📖 ابن سينا ((428هـ))، الشفاء المنطق، تح: الاب قنواني، محمود الخضيرى، فؤاد الإهوانى، مراجعة: د. ابراهيم مذكور، تصدير: طه حسين باشا، ط2: المطبعة الأميرية-القاهرة، منشورات مكتبة أية الله العظمى المرعشى النجفي-قم المقدسة، 1405م، إيران، 1371هـ-1952م.
- 📖 أبو الحسن حازم القرطاجني ((684هـ))، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، تونس-دار الكتب الشرقية، 1966.
- 📖 أبو الفتح عثمان بن جني ((392هـ))، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية.
- 📖 أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ((711هـ))، لسان العرب، دار صار -بيروت.
- 📖 أبو القاسم محمد بن أحمد الغرناطي ((697هـ))، شرح: رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة على قصيدة مقصورة ابي الحسن حازم بن حسن بن حازم الأنصاري القرطاجني، مطبعة السعادة-مصر، 1344هـ.
- 📖 أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي (الأصول والامتداد)، ط1: الناشر: مطبعة الكرامة، مكتبة دار الأمان - الرباط. 1427هـ-2006م.
- 📖 أرسطو طاليس، فن الشعر مع الترجمة القديمة (وشروح الفارابي، وابن سينا، وابن رشد)، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه: د. عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية-القاهرة، 1953.
- 📖 إسماعيل باشا البيгдаدي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، بيروت-لبنان، دار إحياء التراث، 1951.

- 📖 جابر عصفور، مفهوم الشعر (دراسة في التراث النقدي)، ط5: الهيئة المصرية للكتاب، 1995.
- 📖 جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ((ت911هـ--))، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2: دار الفكر، 1399هـ-1979م.
- 📖 خير الدين الزركلي، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والمستعربين والمستشرقين، ط15: دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 2002.
- 📖 ديوان حازم القرطاجني، تح: عثمان الكعاك، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1409هـ-1989م.
- 📖 شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر - بيروت، 1397هـ-1977م.
- 📖 صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ((ت764هـ--))، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، ط1: دار أحياء التراث، بيروت - لبنان، العربي، 2000م-1420هـ.
- 📖 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ط1: دار الكتاب الجديدة المتحدة، توزيع: دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، طرابلس-الجمهورية العظمى، 2004.
- 📖 عمر ادريس عبد المطلب، حازم القرطاجني حياته ومنهجه البلاغي، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان-شارع الجمعية العلمية الملكية، 2008.
- 📖 قاضي مراکش العباس بن إبراهيم الشمالي، الإعلام بمن حلّ عن مراکش وأغامت من الأعلام، ط2: مراجعة: عبد الوهاب بن منصور، 1418هـ-0-1997م.
- 📖 القضاءي البليدي ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ((ت658هـ--))، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراش، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1415هـ-1995م.
- 📖 محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط: المطبعة السلفية ومكنتها-القاهرة، 1349.
- 📖 محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ط1: مكتبة لبنان-ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، دار نوبار للطباعة - القاهرة، 1994.
- 📖 محمد محمد أبو موسى، تقريب منهاج البلغاء لحازم القرطاجني المتوفى ((ت684هـ--))، للدكتور ط2: مكتبة وهبة 14 شارع الجمهورية - عابدين-القاهرة، 1429هـ-2008م.
- 📖 ابن هشام الأنصاري، تح: د. عبد اللطيف محمد الخطيب، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ط1: الكويت، 1421هـ-200م، السلسلة التراثية 21.
- 📖 مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية . المجلد (18) العدد (3) سنة 2018م

المقري التلمساني شهاب الدين أحمد بن محمد، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: احسان عباس، دار صادر-بيروت، 1408هـ-1988م. 

المقري التلمساني شهاب الدين أحمد بن محمد، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الجزء الثاني، 1359هـ-1940، الجزء الثالث، 1361هـ-1942م. 